



دور بن يوسف بن خدة و تطوير الثورة الجزائرية في الداخل

1957-1955

د. جمال قندل

جامعة الشلف

djamel.65kendel@gmail

تاريخ النشر: 2018/12/30

تاريخ القبول: 2018/11/01

تاريخ الإيداع: 2018/10/10

الملخص:

تعالج الدراسة الدور الفاعل للسيد بن يوسف بن خدة، في دفع و تطوير الثورة الجزائرية، من خلال المساهمة في التأسيس لمنظمات وهيئات المجتمع المدني، ودفعها وتفعيلها، على طريق خدمة الثورة، فكرة، أهدافا و مسارا، في الداخل كما في الخارج، ضمن فريق ضمّ كلا من السادة، العربي بن مهيدي، رمضان عبان، وسعد دحلب، في فترة حرجة من عمر الثورة، حيث كانت بحاجة ماسة إلى استقطاب مختلف الطاقات و الكفاءات، بغرض توسيع نطاق الثورة وتعميقها على المستوى الشعبي الذي شكّل رهانا حقيقيا.

الكلمات الدالة:

بن يوسف بن خدة، لجنة التنسيق و التنفيذ، المنطقة المستقلة، إضراب الطلبة، الاتحاد العام للعمال الجزائريين، النشيد الوطني.

Abstract:

The study tackles the active role played by Mr. Ben Youssef Ben Khada in advancing and developing the Algerian revolution by contributing to the establishment of the civil society organizations and institutions and to activate them in the service of revolution, idea, goals and path, with Al-Arbi ben Mhidi, Ramadane Abane, and Saad Dahlab, during a critical period of the revolution, where they were in dire need of attracting various energies and competencies, in order to expand the scope of the revolution and deepen it at the popular level.

Key Word:

Youcef Ben Khadah, Coordination and Implementation Committee, Independent Zone, Student Strike, General union of Algerian Workers. National Anthem, Eight Day Strike



شكّل تفجير الثورة الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954 مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر المعاصر، من حيث أنه اعتبر وثبة نوعية في تعاطي الحركة الوطنية الجزائرية وبخاصة النخبة الثورية منها مع الواقع الاحتلالي الفرنسي المفروض منذ العدوان على الجزائر عام 1830 بنظرة أكثر واقعية وأشدّ عمقا، ارتكزت على معطيات محلية دافعة، وإقليمية محفزة و دولية مشجعة، باتجاه الجنوح نحو خيار الثورة المسلحة، كخيار أوحّد لاستعادة الاستقلال و استرداد السيادة .

فكان خيار الثورة، المنحى السليم للخروج من المأزق الذي ولجته الحركة الوطنية، بفعل الانشطار والتشردم. و من هذا المنطلق، ترنو المداخلة التي أضعتها بين يدي السادة المؤرخين والباحثين، أعضاء اللجنة العلمية الموقرة، بحث حاجة الثورة الماسة إلى كافة الطاقات على اختلاف طبيعتها ومستوياتها وحيويتها وفعاليتها، لدفعها وتطويرها من خلال إسهاماتها، ضمن نطاق المتاح من الفرص والممكن من الطاقة، فضلا عن الرغبة في الوقوف عند الإضافة التي قدمها السيد بن يوسف بن خدة للفعل الثوري في الجزائر، خاصة و أن عمله مع بن مهيدي و عبان كان في فترة حرجة من عمر الثورة، و هو ما جعل أثره كبيرا على مسار وحركة الثورة، بدت أماراته في مناح متنوعة، ومجالات مختلفة.

1- فجائية الفعل الثوري وخيار المسعى القومي للاحتلال :

أحدث تفجير الثورة في الفاتح نوفمبر 1954 صدمة كبيرة لدى مؤسسة الاحتلال الفرنسي السياسية، العسكرية، الإعلامية و القضائية، ما جعلها تسرع باتجاه تعزيز الحشود العسكرية في الجزائر، حيث اعتبرت العدد غير كاف ولا يحقق بأي حال من الأحوال مسألة تطبيق الثورة وخنقها حتى لا يمتد نطاقها و يشتد عودها¹. و نلاحظ ذلك على نحو جليّ من خلال الارتفاع المشهود لعساكر الاحتلال، حيث أنه ارتفع العدد من 58 ألف نهاية سنة 1954 إلى 100 ألف خلال شهر جوان سنة 1955، و 186 ألف في فيفري 1956، ليصل إلى 400 ألف عسكري نهاية سنة 1956².

و على غرار ذلك، واصلت إدارة الاحتلال بعزم كبير وإرادة قوية، السير على الخط القومي القائم على القوة، لذلك كان اللجوء يوم 5 نوفمبر 1954 إلى حلّ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، بعد تقرير أعدّه و قدمه وزير الداخلية، فرانسوا ميران،³ غير أن القمع لم يتوقف عند الحد، حيث أقدمت شرطة الاحتلال على الاعتداء على المناضلين ومطاردتهم و اعتقالهم، وكان بن يوسف بن خدة من المناضلين الذين طالهم اعتقال شرطة الاحتلال التي لم



تقدر الأمر حق التقدير، حيث انضم مباشرة بعد إطلاق سراحهم السادة: الدكتور محمد الأمين دباغين، بن يوسف بن خدة، سعد دحلب، العربي دماغ العتروس، وآخرون. وسيكون لهؤلاء شأن كبير في دفع الثورة وتطويرها في الداخل والخارج على حد سواء، وهو ما سنطرقه من خلال هذه المداخلة التي ستركز على نشاط و دور السيد بن يوسف بن خدة، كعلم من أعلام الثورة الجزائرية. وقد علق المؤرخ الفرنسي بنيامين ستورا، على ذلك بالقول: "إن إقدام متبران على حل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، يعتبر خطأ سياسيا أدى إلى الإسراع في وتيرة الثورة الجزائرية، بحيث دفع المناضلين الوطنيين المعتدلين إلى الالتحاق بجهة التحرير الوطني"⁴.

2-استقطاب الميزابيين لتعزيز موقع الثورة

في سنة 1956، عقد اجتماع ضم السادة: بن يوسف بن خدة، عبان رمضان والشيخ بيوض، في القبة. كما حضر الاجتماع ذاته، الشيخ سليمان بن يوسف، والسيد إسماعيل سماوي وفي رواية للسيد بن خدة، فإنهم "خاطبوا باسم جهة التحرير الوطني، الشيخ بيوض وطلبوا منه المضاعفة، والمزيد من مشاركة إخواننا الميزابيين، في العمل ضمن جهة التحرير الوطني، خاصة في مجال التجنيد ومراكز الإيواء والاتصال والمواصلات و البريد... وطلبنا ذلك منه، بالخصوص في الجزائر العاصمة. وبعد ذلك اللقاء، وجدنا استعدادا أكبر، ومشاركة أكثر من طرف إخواننا من ميزاب...".⁽⁶⁵⁾

ويذكر المجاهد حمو عيسى، أن الجزائر العاصمة كانت تضم 28 مركزا تابعا للشبكة الميزابية الموازية لدعم الثورة، إسنادا واتصالا. منها نحو سبعة مراكز رئيسة متواجدة بالأحياء التي يقطعها الأوروبيون. وقد اختيرت لأسباب موضوعية، حيث أنها لا تثير أدنى شبهة، وهو ما يجعل حركة مسئول الثورة بها آمنة. حيث يقل بها التفتيش والحراسة، خلافا للأحياء الشعبية. وعلى غرار ذلك، فقد كان مسئولو الثورة يعتنون بمظهرهم الخارجي كثيرا، كما كانوا يستعملون وثائق مزورة. فبن خدة مثلا كان يستعمل بطاقة تحمل اسم "جوزيف مولينا"⁽⁷⁾.

وقد حذر الجو المناسب بتلك الأحياء، أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، على استغلال تلك الأماكن لعقد اجتماعاتهم، إلى جانب استعمالها في تخزين الأسلحة والمؤن. وللإشارة، فإن الدعم الميزابي كان يخضع مباشرة لتنظيم ميزابي، يراعي الخصوصيات الاجتماعية والتنظيمية، على نحو يؤمن المساعدة، ويوفرها، دون الحاجة إلى تفكيك نظامها العتيق الموروث منذ عهد بعيد، وهو ما



أبقت عليه الثورة، إدراكا منها لمدى قدرة الميزابيين على دفع وتعزيز الثورة، وبخاصة في مجال الدعم المالي⁽⁸⁾.

3-نشيد الثورة الجزائرية :

قبل انقضاء عام عن تفجير الثورة، بدت فكرة وجوب صياغة نشيد وطني، يتغنى ببطولات الثورة ورباطة جأش المجاهدين وينقل صور الذلّ والمهانة التي تلحق بقوات الاستعمار، فضلا عن تنميته للروح الوطنية وتغذيته للشعور بالمسؤولية، خاصة وأن تجربة الحركة الوطنية ثرية بالأناشيد الوطنية الباعثة على الحماس في نفوس المناضلين، الذين ما فتئوا يتغنون بها أحيانا كثيرة بل كانت تحفّظ للأطفال، حتى يشبوا على حب الوطن الجريح، الذي كان يئن تحت نير الاستعمار. وقد شهد صيف سنة 1955، منعرجا حاسما في مسار امتداد الثورة وتوسعها . ورغبة في استقطاب كافة الطاقات والإمكانات الجزائرية، وتمكينها من خدمة الثورة من الموقع الذي يشكل مجال حركتها، طرحت فكرة النشيد الوطني في اجتماع، ضمّ كلا من رمضان عبان، بن يوسف بن خدة، عمر أوعمران، ببيت رباح لخضر. وطرح عبان فكرة عدم تمجيد أي شخصية في النشيد.

وحسب شهادة للسيد بن خدة، حول سياق ظهور النشيد يقول :".تحدثت مع عبان ،حول فكرة لماذا لا يكون لجهة التحرير ،نشيد مثلما كان لنا من قبل، في أيام النضال السياسي، فأجابني على الفور، نعم الرأي "دبراسك"، وفي الحين فكرت في مفدي زكرياء. التقيته في أحد شوارع العاصمة، وبحضور رباح لخضر، جلسنا في مقهى وعرضت عليه الفكرة ورحب بها دون تردد، ولكن طلب مني أن أوضح له الإطار العام "⁽⁹⁾ الذي يشكل مدار النشيد الوطني، حتى يحقق ما يتوخى منه. وقد ارتكز الإطار العام للنشيد الوطني، حسب بن خدة، في حديثه مع مفدي زكرياء على ثلاثة عناصر هي :

1-وجوب تأكيد الوحدة الوطنية ،بين الجزائريين .

2-استعمال الأسلوب الهجومي ،ضد فرنسا .

3-إبراز النصر على العدو ،إن شاء الله .

وبعد فترة قليلة، أعدّ مفدي زكرياء النشيد الوطني، وقدمه لبن خدة، والذي عرضه بدوره على عبان رمضان، حيث قبله ومن معه واستحسنوه، ولم يروا داعيا للاتصال بشعراء آخرين⁽¹⁰⁾.



وبغرض إتمام اللمسات الأخيرة الخاصة بتلحينه، حتى يسهل أدائه ويوحد نسقه، انتقل زكرياء إلى تونس، حاملا معه النشيد، وتمّ التدريب عليه بعد أن لحنه الأستاذ محمد التريكي وحسب شهادة صالح خرفي، فإن التدريب علمكان يتم بدار البعثة الجزائرية في تونس،⁽¹¹⁾ للطلبة القادمين من وادي ميزاب، في جنح الظلام، بعد أن توصل الأبواب ويتناوب الأفراد على الحراسة، حرصا على سرية النشيد، قبل إدخاله إلى الجزائر⁽¹²⁾ وقامت بأداء النشيد وتسجيله، ثم وزع على الأقطار العربية والإسلامية. ولكن في الأخير، بدا لوفد الثورة في القاهرة أن يقدم النشيد إلى الموسيقار المصري، أحمد فوزي، الذي تكفل بتلحينه.⁽¹³⁾ وغدا بعد ذلك، نشيد الجزائر الذي يردد في كل المنابر والمحافل، في الداخل كما في الخارج .

4- الحركة النقابية وتأطير النضال العمالي :

لم يهضم النقيبون الجهيون قطّ، السرعة التي قطعها المصاليون في تأسيس إطار نقابي جامع للعمال، وخوفا من استحوادهم على الفضاء العمالي واستقطابهم في النضال ضمن إطار "الحركة الوطنية الجزائرية"، أسرع أولئك المناضلون النقابيون إلى طرح انشغالهم مع مسؤولي الثورة على مستوى العاصمة، مثلما يذهب إلى ذلك، بوعلام بوروية أحد مؤسسي الحركة النقابية.

وبعد أن استمع مسؤولو الثورة، لانشغالات النقيبين، أوصى عبان رمضان وابن خدة هؤلاء بضرورة الاستمرار والحفاظ على التواصل مع المصاليين، ومتابعة خطواتهم الرامية إلى تأسيس النقابة عن كُتب وفي سرية تامة، على نحو يتعدى على المصاليين إدراك نواياهم، بهدف تعطيل عمليات التحضير للتأسيس، ريثما تتهيأ الظروف للجهة. كي تلج الساحة بتنظيم نقابي يشكل واجهة حقيقية للعمال الجزائريين، من حيث تبني مطالبهم على اختلاف طبيعتها، فضلا عن الاضطلاع بالدور التبعوي، الإعلامي والسياسي للثورة، من خلال ما يوفره التنظيم، من منبر للثورة في الداخل و الخارج .

وباتجاه السعي نحو معرفة الشروط الموضوعية الكفيلة بتهيئة الظروف المناسبة والمحفزة على الدفع بتأسيس النقابة، انتقل وفد إلى بلجيكا لزيارة كنفدرالية النقابات الحرة، خلال شهر ديسمبر 1955، في مهمة ترنو اختبار مدى استعداد تلك المركزية الدولية لقبول انضمام محتمل لنقابة قيد التأسيس. خاصة وأن المصاليين يحوزون تجربة ثرية، حيث استطاعوا أن يربطوا علاقات ظلت مستمرة لفترة طويلة مع كنفدرالية العامة للشغل، القوة



العمالية بفرنسا، باعتبارها عضوا مؤسسا للكنفدرالية الدولية للنقابات الحرة. ثم عرج الوفد على فرنسا، حيث التقى مولاي مبراح الذي أبدى الارتياح للفكرة، والقبول، والاستعداد لتقديم الدعم المالي. وقد أبصرت الثورة من خلال عملية المسح و الرصد، التي اضطلع بها النقابيون الجبهويون أن اقتحام الساحة ليس بالأمر الهين على الإطلاق، لوجود معوقات موضوعية، تتمثل في الآتي: شهدت سنة 1956 بروز منظمتين نقابيتين، دخلتا في تنافس كبير، وغير مسبوق لاحتكار الساحة العمالية، بهدف استقطاب أكبر عدد ممكن من العمال، لتوسيع القاعدة الداعمة والمحركة لعمل ونشاط النقابة. وقد تمثلت النقابتان في مايلي :

-الاتحاد العام للنقابات الجزائرية "UGSA":

هو نقابة شيوعية، وتعتبر أقدم نقابة جزائرية، سجلها حافل بتجربة نضالية نقابية طويلة أكسبتها مع مرور الزمن قدرة على الحراك و المناورة والتأثير. وفضلا عن ذلك، فإنها تستفيد من الدعم الذي توفره الكنفدرالية العامة للعمل بفرنسا، وللإشارة، فإن هذه النقابة عرفت طريقها إلى الاستقلالية عن المركزية النقابية، لما وراء البحار، خلال المؤتمر الذي عقد خلال شهر جوان 1954.⁽¹⁴⁾ وكل مناضلي الحركة الوطنية يقرون بحسن أدائها وفعاليتها، ولكن يعيبون عليها توجهها السياسي .

-إتحاد نقابات العمال الجزائريين "USTA":

هو نقابة عمالية أسسها المصاليون، رغبة منهم في اكتساح الساحة، واستقطاب قاعدة عمالية عريضة، من شأنها أن تكون سندا قويا، في العمل السياسي، الذي تخوضه الحركة الوطنية الجزائرية، التي راحت تبحث عن موطن قدم لها في الساحة، خاصة بعد تفجير الثورة في نوفمبر 1954، وما أفرزه من بروز قوة سياسية جديدة، ممثلة في جبهة التحرير الوطني التي تبنت مطلب الاستقلال، عن طريق خيار الكفاح المسلح. وقد ضم مكتبها على مستوى العاصمة تسعة عناصر.⁽¹⁵⁾ و في 17 فيفري 1956 اجتمع عبان رمضان، بن يوسف بن خدة، عيسات إيدر، الدكتور بيبير شولي، ببيت النقابي بوعلام بورية ببولوغين .⁽¹⁶⁾ و تمّ خلال هذا الاجتماع، إعداد كافة الترتيبات لتسريع عملية التأسيس، والتي يمكن إجمالها في الآتي :

- تحديد اسم المنظمة النقابية الجديدة ب"الاتحاد العام للعمال الجزائريين.
- ضبط قائمة إسمية للمناضلين الذين يقع الاتصال بهم .
- تقديم تسبيق بمليون فرنك من جبهة التحرير الوطني .



■ منع الانتماء النقابي المزدوج و العمل على وحدة الاتحاد العام للعمال الجزائريين و عدم القبول بأي تنسيق مع كل من الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين أو مع الاتحاد العام للنقابات الجزائرية .

■ وجوب التخلي عن كافة المسؤوليات في التنظيمات الأخرى .

■ دعم جبهة التحرير الوطني في وضع أسس الاتحاد العام للعمال الجزائريين.

■ عقد الجمعية التأسيسية في 24 فيفري 1956⁽¹⁷⁾ .

و استمرت الأشغال و تهيئة الظروف المناسبة لعقد الجمعية التأسيسية . حيث عقد اجتماع آخر ، بعد أسبوع فقط عن الاجتماع الأول . و يذكر النقابي المؤسس بورويبة⁽¹⁸⁾ في هذا الصدد: " اتصلنا بالمرحومين فرحات عباس و أحمد بومنجل ، فسلمنا لنا المقر السابق لحزب البيان ، بساحة ابن باديس ، بجانب مسجد كتشاوة ، و كان حسن التجهيز ، و به آلة سحب . الأمر الذي سهل مهمتنا كثيرا . و في هذا المقر انعقد المؤتمر التأسيسي للإتحاد في يوم 24 فيفري 1956... " (19)

و ضمت الأمانة الأولى للإتحاد العام للعمال الجزائريين ، العناصر النقابية التالية :

1- إيدير عيسات: أمين عام .

1- بن عيس عطا الله: أمين عام مساعد .

2- بوعلام بورويبة: أمين وطني .

3- رابح جرمان: أمين وطني .

4- عبد المجيد علي يحي ، أمينا وطنيا مكلفا بالخزينة⁽²⁰⁾ .

و إدراكا من الاتحاد ، لأهمية الإعلام في حشد الطاقات و تعبئتها حول المطالب العمالية و الوطنية ، أصدرت جريدة تحمل اسم "العامل الجزائري" L'OUVRIER ALGERIEN "باللغة الفرنسية ، في أفريل 1956⁽²¹⁾ . و رغبة في تسريع ظهور الجريدة ، لتضطلع بمهمة الدفاع عن العمال و الشروط العامة في عالم الشغل ، فضلا عن القضية الأصل ، التي فجرت الثورة في الفاتح نوفمبر 1954 من أجلها و هي الكفاح من أجل استعادة الاستقلال الوطني ، اتصلت عناصر من الأمانة العامة بأمين الخزينة بالاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، السيد أحمد فرنسيس لتمكين المركزية النقابية من الاستفادة من الوسائل المادية الكفيلة بدعم و دفع الجريدة ، فما كان منه إلا أن تفاعل إيجابيا مع الطلب ، من غير تلكؤ⁽²²⁾ .



وقد تناول العدد الأول من الجريدة، فكرة التأسيس و أوضح للرأي العام الخط السياسي الذي تسلكه الجريدة، بالقول:الاتحاد العام للعمال الجزائريين، مركزية نقابية تم إنشاؤها عقب مؤتمر انعقد في العاصمة يوم 24 فيفري 1956 من طرف نقابات منطقة العاصمة. هذا الاتحاد حدد لنفسه مهمة تنظيم العمال، من أجل وضع حد للاستغلال الذي يعتبرون من ضحاياه...إن النظام الاستعماري يعتبر هو السبب الرئيسي في هذه الوضعية ...⁽²³⁾.

5- الإضراب العام بين الخلفية الماضوية والنظرة المستقبلية :

أدركت النقابة الجزائرية مدى أهمية المعطى الماضوي، المتمثل في واقعة الاحتلال التي جسدها شهر جويلية عام 1830، في تعميق الشعور بالانتماء، وتعبئة الجزائريين وتعزيز شعورهم بضرورة الحراك الواعي والفاعل، من أجل التفاعل الإيجابي والمنظم مع نداء الثورة، في نطاق العمل على إعادة صياغة التاريخ الوطني من خلال تحرير الجزائر التي غُيبَت في شهر جويلية 1830 تحريرا كاملا وشاملا. وضمن هذا السياق، ينضوي الإضراب الوطني الذي شهدته الجزائر، والذي شكّل أول اختبار ميداني للنقابة الحديثة النشأة من جهة، ومن ورائها جبهة التحرير الوطني من جهة ثانية ، لقياس مستوى التجاوب مع نداءها و التفاعل الإيجابي مع حركتها، وفي ضوء ذلك، تُعاد قراءة الواقع من جديد، قراءة تأخذ بعين الاعتبار معطيات و نتائج الإضراب، سلبية كانت أم إيجابية .

ومن هذا المنطلق، فإنه يسوغ القول، أن هذا اليوم شكل لحظة تاريخية حاسمة، بالنسبة للثورة التي دعت إلى إضراب وطني عام وشامل، خاصة وأنه جاء بعد عمل إرهابي استهدف مقر الاتحاد العام للعمال الجزائريين، الذي تهدم بالكامل، نتيجة قنبلة بلاستيكية⁽²⁴⁾ وضعتها سلطات الاحتلال بتاريخ 30 جوان 1956 وقد أسفرت الحصيلة على إصابة ثمانية نقابيين، بجروح ، متفاوتة الخطورة، فيما قُطعت سيقان البعض من هؤلاء⁽²⁵⁾ .

ومن غرائب صنائع الاحتلال، أنه لم يكتف بالجريمة المقترفة فحسب ، بل راحت شرطته تنتقل على جناح السرعة إلى عين المكان لمعاينة الواقعة. وفي ظل غياب أي وازع و انعدام أي شكل من أشكال العدل، أُعتقل الأفراد الجرحى الذين كانوا في عين المكان ولُفقت لهم تهمة وضع القنبلة في المقر⁽²⁶⁾ . إن سلوك الاحتلال الإرهابي، جاء تعبيراً عن سلطة الاستعمار عن عدم رضاها على المسعى الثوري ، الذي نحاه الاتحاد العام للنقابة الجزائرية، الذي أعلن صراحة ، وقوفه إلى جانب المطالب الوطنية الأصلية، وعلى رأسها الاستقلال، بالتوازي مع المطالب الاجتماعية والاقتصادية ، التي لا يمكن أن تتحقق، بمعزل عن الاستقلال الوطني .



وبغرض إنجاح الإضراب العام ، كان هناك عمل تحتي كبير ، اضطلع به مناضلون أكفاء ، لتوعية وتعبئة الجماهير ، بضرورة إنجاح ذلك الحراك الاجتماعي السلمي ، ذي البعد الثوري ، حتى تدرك سلطات الاحتلال ، مدى ثقة الشعب في الثورة ، فكرة وقيادة ، واستجابته الواعية لنداءاتها ، في الزمان والمكان المناسبين . وفي خطوة أكثر جرأة ، وتحديا حقيقيا لسلطات الاحتلال دخلت النقابة بعد زهاء أربعة أشهر ونصف ، على تأسيسها ، منعرجا حاسما في تاريخها ، من خلال الإعلان عن الإضراب الوطني في الخامس جويلية 1956.

وسعيا لإنجاح الإضراب العام ، عمدت جبهة التحرير الوطني ، إلى توجيه نداء عام للشعب الجزائري ، كيما يلتف حول قرار الإضراب ، التفافا صادقا وكبيرا ، يعكس وعيه بمقتضيات المرحلة وللوقوف على حقيقة النداء ، نسوق بعضا من أجزائه .

نداء من جبهة وجيش التحرير الوطني إلى الشعب الجزائري

"أيها الشعب الجزائري .

انقضت اليوم مائة وستة وعشرون عاما على نزول الفرنسيين ، بأرض الجزائر . وبعد مقاومة عنيفة دامت أكثر من ربع قرن ، انهزم أجدادنا ، وانمحت إثر ذلك الدولة الجزائرية .. وشرعوا في بذل جهود شاقة لمحو شخصيتنا حتى يجعلوا من كل جزائري ، عبدا مسخرا للأسلحة الجدد... أيها الشعب الجزائري ، إن جبهة التحرير ، تناديك لتعزيز ثورتك ، تدعوك إلى تقوية صفوف المقاومة .. إن جبهة التحرير الوطني تطلب منك أن تعلن يوم الخامس جويلية 1956 إضرابا عاما ، يشهد بتضامنا مع أولئك المجاهدين الذين يستشهدون لكي تحيا الجزائر . في هذا اليوم ، يجب أن تبقى جميع المتاجرو الحوانيت والمقاهي مغلقة ..."(27).

لقد كانت الاستجابة للإضراب ، واسعة ولم يبق ضمن نطاق العاصمة فحسب ، بل إن مدينة وهران التي تمثل عمق المنطقة الخامسة ، استجابت هي الأخرى لنداء جبهة التحرير الوطني ، حيث قام التجار والحرفيون بغلق محلاتهم ،⁽²⁸⁾ تعبيرا منهم عن صدق ولائهم للثورة و استعدادهم للتفاعل الايجابي مع دعواتها ونداءاتها .

وإدراكا منها لخطورة الإضراب العام على راهن الاحتلال الفرنسي في الجزائر ، لكونه يُسهم في تقوية شوكة الثورة ، وتعزيز تمظهرها داخليا وخارجيا ، أسرع سلطات الاحتلال إلى اتخاذ جملة من التدابير لتوخى إحباط الإضراب . وقد تمثلت في الآتي:

1- إلقاء القبض على عدد من المواطنين ، قبل وخلال الإضراب . بغرض إشاعة الخوف وسط المدنيين ، على نحو يدفع باتجاه تثبيط حركتهم ، وشل عزيمتهم .



2-توزيع منشورات مزيفة، يدعو بعضها إلى الإضراب ،وبعضها الآخر، يستنكر الإضراب، ويدعو إلى العدول عنه .وكان موزعوها من رجال الشرطة ،بالزي المدني .وقد توخى هذا المسعى ،إيجاد حالة من الغموض، والفوضى بصورة تجعل المدنيين الذين عوّل عليهم، في إنجاح الإضراب ،مذبذبين ،ومتريدين ،في ظل منشورات كثيرة ،ومتناقضة ،في الآن ذاته .

3-قيام عساكر الاحتلال، بتوزيع الخضرو الفواكه، ومختلف السلع على الزبائن الأوروبيين .

4-قيام عساكر الاحتلال، بتوزيع التذاكر على ركاب حافلات الترامواي، التي كانت تشتغل في ذلك اليوم .

5-إستعمال المواطنين الذين تم تجميعهم خلال ذلك اليوم ،في تفرغ شحنات بعض البواخر ،نظرا لإضراب العمال، في ذلك اليوم ⁽²⁹⁾.

بيد أن عملية التعبئة الكبيرة التي اضطلع بها المناضلون إلى جانب الدعاية التي صاحبتها، جعلته يغدو مثار اهتمام ومدار نظر المتابعين للشأن السياسي في الجزائر، والمراقبين والراصدین لحركة الثورة . وفي الصدد، اعتبر مدير يومية "الجزائر الجمهورية" ، هنري علاق ، أن الإضراب كان نجاحا كبيرا ..بيد أن الاضطهاد الذي سُلط على الحركة النقابية في الجزائر، إثر الإضراب سيؤدي إلى دخولها مجال السرية بشكل تام .ولم تكتف سلطات الاحتلال بالاضطهاد المادي والمعنوي، الذي مسّ النقابيين، بل طال العدوان كذلك الوسائط الإعلامية المعبرة عن رؤى وانشغالات وكذا اهتمامات الطبقة الشغيلة في الجزائر، من خلال منع الجرائد التابعة للاتحاد العام للعمال الجزائريين (l'OUVRIER ALGERIEN) ، وكذا للاتحاد العام النقابات الجزائرية (Le Travailleur Algérien) ، اللتين كانتا دوما تتعرضان للمصادرة و المنع ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحدّ، بل ازداد عنف سلطات الاحتلال، وتوسعت عملية التوقيف لكثير من النقابيين . ولعل ما هياً الجو لتلك التجاوزات القمعية، هو المراسيم التي بادر لأكوست إلى إصدارها والتي قضت بحظر نشاط النقابة الوطنية ³⁰.

واللافت أن حركة الإضرابات لم تتوقف عند الإضراب التاريخي ،للخامس جويلية ،بل توسعت الرقعة ،وشهدت الثورة ،بعد ذلك الإضراب ،أربع إضرابات خلال سنة 1956، يمكن تحديدها في الآتي :

1-إضراب 15 أوت 1956.

حتى وإن لم يكن بنفس القوة والثقل، قياسا بالإضراب الأول ،الذي كان في الخامس جويلية، إلا أنه يشكل تحولا إيجابيا ،في مجال حركة ونشاط نقابة جبهة التحرير الوطني، في مواجهتها



لتحديات الواقع الصعب ، الناتج عن الإجراءات القمعية لسلطات الاحتلال .وقد حمل هذا الإضراب مطلباً محورياً ، تمثل في الدعوة إلى وجوب إطلاق سراح النقابيين الجزائريين ، الذين سيقوا إلى السجون زمراً ، دون وجه حق .³¹
2- إضراب المدارس في أكتوبر 1956.

جاء هذا الإضراب ، امتداداً للإضراب التاريخي للطلبة الجزائريين ، في التاسع عشر ماي 1956 ، ومكملاً له في الآن ذاته ، على اعتبار أن المقاومة السلمية ، من خلال مسعى الاحتجاج ، والإضراب كفيلة بدفع وتطوير الكفاح المسلح ، الذي يبقى دائماً بحاجة ماسة ، إلى تلك الشُّحنات المعنوية الباعثة على الاستمرار ، بنفس النفس والروح المقاومة .وقد سجل بوروية بوعلام ، واقعة الإضراب ونتائجها في الميدان ، بقوله : " كان أساتذة أحياء المسلمين ، حاضرين في أقسام الدراسة ، ولكنه من بين عشرين قسماً ، لم يحضر سوى تلميذين فقط ، وهما من أبناء الحركي " . (32) حيث أرادوا أمراً آخر ، غير أمر الثورة ، ولكن باءت محاولتهم بالفشل ، من حيث سعوا إلى تكسير الإضراب ، وشلّ حركته .

3- الإضراب الوطني في 1 نوفمبر 1956.

كان هذا الإضراب نتاج عمل حثيث أفضى إلى اتفاق مغاري ، شمل المنظمات النقابية الثلاثة ، في كل من تونس ، المغرب والجزائر ،⁽³³⁾ وقد توخى هذا التوافق على الإضراب ، جعل هذا اليوم ، محطة رئيسية ، لعمل وحدوي مغاري ، في بُعد النقابي ، وهو مجال لا يمكن بأي حال من الأحوال ، إغفاله أو تجاهله ، بالنظر إلى الارتباط الوثيق بين العمل النقابي والسياسي .
4- إضراب يومي 25 و 26 ديسمبر 1956.

أخذ هذا الإضراب طابعاً خاصاً ، قياساً بالإضرابات السالف الإشارة إليها ، لكونه كان عمالياً خالصاً ، وضمن نطاق ضيق ، من حيث كونه ، مسّ فقط عمال الترامواي⁽³⁴⁾ . ولكن على الرغم من محدودية المجال الخاص بالإضراب ، إلا أنه أبرز مرة أخرى ، مستوى الوعي الوطني لدى العمال ، وشعورهم بواجب تقديم الدعم للثورة ، بصرف النظر عن أشكال الدعم و المساندة . والخليق بالإشارة ، أن الإضرابات على مستوى العاصمة ، تحدث دائماً الصدى الإيجابي ، لوجود مختلف الوسائط الإعلامية المحلية و الدولية ، التي تتحين الفرص لتغطية الأحداث ورصد الوقائع ، ذات الصلة المباشرة ، أو غير المباشرة ، بموضوع الثورة ، ولكن تصب كلها في نهاية الأمر ، في مصب الثورة الجامع لكافة المجالات ، والمستغرق لجميع الطاقات .



وبالنظر إلى النتائج الإيجابية ، التي باتت تسجل لصالح الثورة ، في الداخل و الخارج ، عن طريق الإضرابات التي اعتبرت آلية على جانب كبير من الأهمية ، على غرار آليات كثيرة أخرى ، اعتمدتها الثورة . تواصلت الإضرابات على مدار سنوات الثورة ، بل كانت أكثر شدة من سابقاتها ، وأعمق تأثيرا على سلطات الاحتلال ، التي تهضم قط الانخراط الواسع للشعب ، في مسعى الثورة ، من خلال التجاوب الإيجابي ، والتفاعل الواعي ، مع قرارات ونداءات الثورة المختلفة .

في الواقع ، فإن سلطات الاحتلال ، أدركت خطورة الإضراب على راهنها ومستقبلها ، من حيث أنه يشكل أول اختبار عملي للثورة ، في سبر قدرتها وقوتها ، ونجاحه سينعكس بالضرورة سلبا على الاحتلال ، نتيجة للصدى الذي سيحدثه على مستوى الداخل و الخارج ، خاصة وأنه جاء في سياق داخلي تميز بالتصعيد الكبير للعمل الفدائي ، الذي سلكته الثورة . كل هذه المعطيات كانت حاضرة بقوة ، لدى دوائر الاحتلال ، التي درست كل الاحتمالات ، ذات الصلة بانعكاسات نجاح الإضراب عليها .

وقد علقت جريدة المجاهد على تجاوب الشعب مع الإضراب ، بقولها : " إن استجابة الشعب بلغت 100 في المائة ، وقد عبر الشعب من خلاله ، على عمق وحدته ، وإرادته الكبيرة جدا في التخلص من الاحتلال ، وسلوكه للطريق الذي رسمته جبهة التحرير الوطني .. وبذلك يكون قد كذّب ادعاءات الاحتلال ، في ولاء الشعب له " (35) . وحول التطور النوعي الذي حققه الاتحاد العام للعمال الجزائريين ، ذهب أندري ماندوز إلى القول : " إن النشاط النقابي ، الذي انحصر لزمان طويل في الإطار الضيق للمطالب الاقتصادية و الاجتماعية ، معزولا عن الأفق العام ، لم يعد لجاما للنضال المناهض للاستعمار ، بل عامل تسريع في المعركة ، من أجل الحرية و العدالة الاجتماعية . إن الاتحاد يعتبر في الساعة الراهنة ، وعن حق ، أنه لا يمكن تحقيق أي تحسين للشرط الاجتماعي ، إلا بالانقلاب الشامل للبنى الحالية . هذه البنى القائمة على تصور متخلف وعلى استغلال الإنسان للإنسان ، واستغلال بلد لآخر .. " (36)

6- إضراب الثمانية أيام و تعميق صدى الثورة في الخارج

خليق بنا أن نشير في هذا السياق ، إلى أن إضراب الثمانية أيام ، الذي دعت إليه جبهة التحرير الوطني ، ابتداء من 28 جانفي إلى 4 فيفري 1957 ، هو أول إضراب بهذا الحجم والقوة حيث أراد التنظيم النقابي للثورة (إ.ع.ج) أن يوصل رسالة سياسية إلى سلطات الاحتلال الفرنسي في الداخل و إلى الرأي العام ، مؤداها تأكيد الدعم الكامل للثورة الجزائرية



، واعتبار حركة العمال من حركة الثورة ، بل هما وجهان لعملة واحدة . وقد قدم السيد بن يوسف بن خدة ، شهادة حول خلفية وحيثيات قرار الإضراب ، باعتبار أنه كان من بين الحضور الذين درسوا وناقشوا وصادقوا على قرار الإضراب ، من خلال قوله : " إن قرار الإضراب ، كان جماعيا ، ولم تكن هناك أي معارضة على الإطلاق . ولكن للإشارة ، فإن الاختلاف كان فقط حول مدة الإضراب . فهناك من اقترح أسبوعا وهناك من اقترح أقل . وكان من المقرر أن يكون الإضراب خلال شهر نوفمبر 1956 ، أي قبل اجتماع جمعية الأمم ، التي كان من المفروض أن تجتمع في شهر ديسمبر 1956 ، ولهذا قدمنا تاريخ الإضراب حتى يكون للجنة التنسيق و التنفيذ الوقت الكافي لتبليغ التعليمات إلى كافة الولايات في الداخل وكذا فدرالية الجهة بفرنسا ، أين تتواجد أكبر جالية جزائرية . ولكن أجل اجتماع الأمم المتحدة إلى سنة 1957 . وهو ما أعطى العدو ، للأسف ، الوقت الكافي لتحضير نفسه لرد الفعل ، ولو سارت الأمور ، كما خطط لها في البداية لكان الأمر أنجح بكثير .

وحول الموضوع ذاته ، قدم المؤرخان ، محمد حربي وجلبير ميني ، شهادة أخرى مطابقة لشهادة بن خدة ، هي لعللي يحي عبد النور الذي قدم اقتراحا باسم الاتحاد العام للعمال الجزائريين . يقضي بالقيام بإضراب استعراضي لمدة أربعة وعشرين ، أو ثمانية وأربعين ساعة ، على الأكثر وأن يكون على مستوى العاصمة فقط . حتى لا تعطى الفرصة للمعمرين وسلطات الاحتلال ، أن تمارس القمع ضد الشعب . بيد أن عبان رمضان ، كان له رأي مخالف ، حيث اعتبر أن الاتحاد العام للعمال الجزائريين ، هيئة تابعة لجهة التحرير الوطني ، ومن ثمة فهي ملزمة بإتباع و تطبيق أوامر الجهة .

الهوامش:

¹ جمال قندل ، خطا موريس وشال على الحدود الجزائرية التونسية و المغربية و تأثيراتها على الثورة الجزائرية 1957-1962 ، دار سيدي الخير ، الجزائر ، 2013 ، ص 34 .

² Pierre Montagnon : *La guerre d'Algérie genèse et engrenage dans une tragédie* , éditions wateletpygmaton, Paris , 1984 , p184 .

³ Hocine Bouzahir : *La justice répressive dans l'Algérie coloniale 1830-1962* , éditions , Houma, Alger, 2007 , p226 .

⁴ حميد عبد القادر ، " بنيامين ستورا الفرنسيون يكتشفون ضلوع فرانسوا ميران في إعدام الجزائريين " ، جريدة الخبر ، عدد 6167 J 4 نوفمبر 2010 ، ص 23 .



نفسه.⁽⁵⁾

(⁶) نفسه، ص 324.

(⁷) الطاهر آيت حمو، رجال صنعوا التاريخ لقاء مع الرئيس بن يوسف بن خدة أمين عام حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ورئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة، ط1، دار الخلدونية للنشر، الجزائر، 2011، ص 81.

(⁸)-الحاج موسى بن عمر، "القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام ميزاب 1902-1962"، أطروحة دكتوراه، في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص 325.

(⁹)-نفسه، صص 77، 78.

(¹⁰) محمد عباس، "لحظات ميلاد النشيد الوطني" (شهادة المجاهد رباح لخضر، سلسلة حديث الإثنين)، الشعب، عدد 18 ماي 1987، ص 8.

(¹¹)-الحاج موسى بن عمر، "صالح الخرفي: المسرحية والأنشودة في أدبه الثوري"، المصادر، عدد 13، السداسي الأول، 2006، ص 256.

(¹²)-نفسه، ص 329.

(¹³) نفسه.

آيت حمو، مرجع سابق، ص 78.

(¹⁴)-محمود آيت مدور، "الحركة النقابية المغاربية بين 1954-1962 الجزائر وتونس نموذجا"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ الضفتين الشمالية والجنوبية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007، ص 86.

(¹⁵) ضم مكتب العاصمة، تسعة عناصر، هم على التوالي: محمد رمضان، أمين عام النقابة (ترامواي العاصمة)، لجر (ترامواي العاصمة)، تفاحة (ترامواي العاصمة)، أرزقي جرمان (ترامواي العاصمة)، سعيد علوش (كهرباء وغاز الجزائر)، جمعي (مستشفى الجزائر)، العماري (كهرباء وغاز الجزائر)، معمري (كهرباء وغاز الجزائر)، العيد خفاش (ترامواي الجزائر). أنظر:

(¹⁶)-Mohamed Fares :AissatIdir documents et témoignages sur le syndicalisme algérien ,éditions Zerieb ,Alger ,2009,,p56.

(¹⁷)-Ibid.

(¹⁸)-ولد بوعلام بورويبة، بالقصر التابعة إقليميا لولاية جيجل في 24 فيفري 1923. تلقى تعليمه الابتدائي بحي القصبة بالجزائر العاصمة. بدأ النضال السياسي في سن مبكرة، مثل كثير من أقرانه، ما جعله ينخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري، سنة 1945 ويؤسس أول قسمة للحزب بحي بولوغين. عمل في السكك الحديدية وانخرط في نقابة المؤسسة، وقد أهله نشاطه وحنكته ليكون نقابيا بارزا في صفوفها. شارك في نشاطات لجنة الشؤون النقابية التي أسستها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، سنة 1947. وظل يحمل هم تأسيس نقابة حرة مستقلة تعنى بشؤون العمال الجزائريين. فوجيء بتفجير الثورة في الفاتح نوفمبر 1954، مثل كثير من الهيات والحركات والأشخاص، غير أنه سرعان ما انضم إلى الثورة بعد بحث واستقصاء عن المصدرو المسار. ظل على اتصال دائم بعيسات إيدير وعيسى بن عطا الله. اتصل بورويبة رفقة نقابيين سابقين بمسؤولي الثورة وطرحوا عليهم فكرة نقابة. غير أنها لم تتجسد في الميدان إلى غاية مؤتمر فيفري 1956. وكان ضمن الأمانة



الوطنية الأولى برئاسة إيدير عيسات. ألقى عليه القبض بعد ثلاثة أشهر من تأسيس النقابة رفقة قادة آخرين، كان على رأسهم إيدير عيسات، وأفرج عن بوروية سنة 1961. وظل يناضل و يعمل على تعبئة الشعب وبخاصة خلال المظاهرات التي ما انفكت تنظمها الثورة. انسحب من الساحة بعد انقلاب 19 جوان 1965 الذي أطاح بالرئيس أحمد بن بلة . أنظر: محمد عباس، رواد الوطنية...مصدر سابق، ص ص 363-372.

¹⁹)-S.E.A.A :Note d'information sur le syndicalisme et F.L.N,(carton 28).

شهادة بوروية، في: محمد عباس، رواد الوطنية، مصدر سابق، ص 368.

⁽²⁰⁾-Mohamed Fares :op.cit,58.

محمود آيت مدور، مرجع سابق ص 86.

⁽²¹⁾)-هي اللسان المركزي للإتحاد العام للعمال الجزائريين، صدر العدد الأول منها في 6 أفريل 1956 بالجزائر العاصمة. تعرضت الجريدة إلى مضايقات كثيرة من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي، لعل أبرزها، المضايقات و الملاحقات القضائية. وقد أوقفت عن الصدور ابتداء من العدد الثالث عشر، من طرف روبر لاكوست، بطلب من الجنرال ماسو. بيد أن حرص الثورة على الاستمرار و البقاء نقل صدورها إلى باريس من طرف الودادية العامة للعمال الجزائريين. ولكن رغم ذلك، فإنها لم تكن قط بمنأى عن المضايقات، حيث منعت من الصدور في 1958، ما جعل القيادة تختار مرة أخرى خيارات بديلة، كقيلة بتحقيق الاستمرار في الصدور و النضال النقابي الوطني الثوري. وهو ما تم بالفعل، حيث أصبحت تصدر باللغتين العربية و الفرنسية، و بصورة منتظمة بتونس إلى غاية الاستقلال. للاستزادة، أنظر: عاشور شرقي، مرجع سابق، ص 233.

⁽²²⁾-S.E.A.A :La presse syndicale en Algérie .

⁽²³⁾-محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص ص 88-89.

⁽²⁴⁾-Rédaction , « la grève anniversaire du 5 juillet »,in El Moudjahid, tome 1,p23.

⁽²⁵⁾-Ben Youcef Benkhedda, **Alger capitale de la résistance 1956-1957**, éditions Houma, Alger, 2002, p32.

⁽²⁶⁾-Ibid.

²⁷)-أنظر: نص النداء كاملا، نقلا عن جريدة "لاكسيون التونسية" L'ACTION TUNISIE ، في :

أحسن بومالي ، أدوات التجنيد...، مرجع سابق ، ص ص 474-475.

⁽²⁸⁾-المنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير الولائي لكتابة تاريخ الثورة المقدم للملتقى الجيوي الثالث

بوهان (1958-1956)، 1984، ص 13.

²⁹)-نفسه ، ص 476.

⁽³⁰⁾)-محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص ص 93-94.

-Henrie Alleg , **La Guerre d'Algérie** , éditions Temps actuel, Paris , 1981, p202.

⁽³¹⁾-BourouibaBoualem : **Les syndicalistes Algériens leur combat de léveil à la libération(1936-1962)**co éditionsDahleb,ENAG ,Alger 2001,,p293.

⁽³²⁾-Ibid.p265.



(³³)-محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص 94.

Boualem Bourouiba :op.cit,p293.

(³⁴)-BoualemBourouiba :op.cit,p 265.

(³⁵) El Moudjahid ,tome 1,op.cit .p23.

(³⁶) Abbas Turki , « L'UGCA une année d'existence »,in El Moudjahid,n°11 du 1 novembre 1957 ,p158. المؤسسة، الترجمة ميشال سطوف، الثورة الجزائرية عبر النصوص، أندري ماندوز، الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص126.